قراءة في "المعجم الموحد لمصطلحات الفنون التشكيلية"

أ. عبد الحميد العبدوني(*)

أ. نوح فكيروش(*)

نحو تصور جديد لاستثمار معاجم المصطلحات العلمية في المجال التعليمي

يطمح العرض إلى تقريب القارئ من العمل، وإطلاعه على فصوله ومحتوياته بهدف إشراكه في جني بعض ثمراته، والاستفادة من معارفه، ولتحقيق هذه الغاية قمنا بما يأتي:

أولاً: وصف الكتاب، وفيه بيّنا كيف أن مكتب تنسيق التعريب حرص على أن يكون الكتاب شاملاً ومنسجماً ومتناسقاً، وبعد ذلك عرضنا مواده ومحتوياته وبيّنا أنه يضم بين دفتيه، بالإضافة إلى المعجم، مقدمة وتوضيحات ثم فهرسين (عربي وفرنسي) يعينان القارئ على البحث والتنقيب. بعد ذلك قمنا بالبحث في الطرق التي توسل بها واضعو المعجم في بناء المصطلحات، فوجدناها لا تخرج عن تلك التي سطرتها مجامع اللغة العربية ومكتب تنسيق التعريب بالرباط(الترجمة، التعريب، الاشتقاق، النحت والتركيب، والتراث).

ثانياً: التعليق على الكتاب، وفيه حاولنا توضيح بعض المسائل التي نختلف فيها مع واضعي المعجم،

- كمسألة الاعتماد كثيراً على التعريب
- والإكثار من المصطلحات المركبة
- وإيراد مصطلحات غريبة

وقمنا بالنظر في مطابقة المصطلحات للمفاهيم أو عدم مطابقتها، فوجدنا أنه ينبغي مراجعة بعض المفاهيم وإعادة النظر فيها بالاستعانة بذوي الاختصاص والمشتغلين في الميدان، وبيّنا ما يمكن أن يحدثه من تشويش على العملية التعليمية، وذيلنا عرضنا بمجموعة من الاقتراحات وملحق يحتوي على مصطلحات نعتبر وجودها في المعجم ضرورياً.

(*) كلية الآداب – مكناس

يحتوي الكتاب على مقدمة، وتوضيحات، وفهرسين، ومعجم. تستوي هذه المواد على رقعة ورقية تتكون من مئة واثنتين وخمسين صفحة، موزعة كالآتي: ثلاث صفحات للمقدمة، وصفحة للتوضيحات، وتسع وعشرون صفحة للفهرس العربي، ومثلها للفهرس الفرنسي، وما تبقى للمعجم.

في المقدمة، إشارة إلى أن المعجم جاء "تلبيةً للحاجة القومية الماسة إلى المصطلحات العربية الموحدة علمياً وتربوياً، ولضرورة تنسيق جهود التعريب في الوطن العربي، وتلافياً لسائر أشكال التضارب والتناقض في استعمال المصطلحات الفنية الحديثة"[1]، ثم عرض المراحل التي مر منها إعداد المعجم والتي تتمثل في:

أولاً: جمع المادة الخام وتنسيقها.

ثانياً: عرض مشروع المعجم على ندوة للخبراء .

ثالثاً: عرض مشروع المعجم على مؤتمر التعريب الثامن والتاسع الذي انعقد بمراكش في مايو 1998.

وتم في آخر المقدمة عرض أسماء العلماء الذين ساهموا في وضع هذا المعجم وهم ينتمون إلى جامعات ومعاهد من مختلف أنحاء الوطن العربي. بعد المقدمة، تم تخصيص صفحة لإعطاء توضيحات لمستعملي المعجم. يحتوي الفهرسان، العربي والفرنسي، على ألف وخمسمائة وأربعة وعشرين مصطلحاً. مُرتبّين ترتيباً ألفبائياً، ومُزودَيْن -كل مصطلح على حدة- بأرقام المصطلحات كما وردت في متن المعجم، طبقاً للترتيب الألفبائي الإنجليزي"[2].

رُتّب المعجم ترتيباً ألفبائياً انطلاقاً من الإنجليزية مع مقابلات فرنسية وعربية.

طرق وضع المصطلح:

تم وضع المصطلحات بالطرق المعروفة (الترجمة، التعريب، الاشتقاق، النحت والتركيب، التراث).

أحصينا المصطلحات المفردة فوجدنا عددها يزيد على الخمسمائة، وكذلك فعلنا بالنسبة للمركبة فوجدناها قريبة من الألف . تجاوزت المصطلحات المعربة الخمسين، أما المصطلحات التراثية فمن الكثرة بمكان. يحبذ علماء المصطلح وضع المصطلحات عن طريق الترجمة، والاشتقاق. وقد اختار واضعو المعجم التوسل بهاتين الطريقتين في أغلب الأحوال. صادفنا كثيراً التركيب، ولم نعثر، إلا نادراً، على مصطلحات منحوتة. لاحظنا، أيضاً، أن العديد من المصطلحات المركبة وردت على شكل جمل طويلة نسبياً. كما لاحظنا وجود بعض المصطلحات مذيلة ببعض الشروح المقتضبة. ولا يخلو المعجم من بعض المصطلحات الغريبة التي يصعب نطقها أو لا يستساغ سماعها، ونحتاج في فهمها إلى بذل جُهْد وجَهْد مضاعفين للبحث عن معانيها اللغوية، أولاً، ثم معانيها الاصطلاحية، ثانياً.

التعليق

وضع المعجم جماعة من خيرة علمائنا العرب استثمروا فيه علمهم الوافر، وخبرتهم الطويلة، فجاء متناسقاً، ومحيطاً ، وشاملاً؛ ولكن ذلك لا يعني أن عدم الاتفاق مع واضعيه في بعض ما جاء فيه محظور وممنوع لأن العلم يقوم على الاختلاف، والحقيقة لا تنهض إلا بالحجاج والإقناع، وقد انتبهت المنظمة إلى هذه المسألة فقالت باسم العلماء الأجلاء "إن مادة هذا المعجم، من وجهة نظر المنظمة، ليست نهائية ولا مستنفدة، فالمعجم في صورته المنجزة إن هو إلا مادة أولية ترجو المنظمة أن تثريها بما سيدلي به الفنانون والعلماء المتخصصون في الوطن العربي من ملاحظات جديدة وآراء ستؤديان، بلا شك ، إلى إغنائه شكلاً ومضموناً" [3].

من المسائل التي أثارتنا في المعجم، قضية التعريب، إننا نتفق على أنه يصعب، أحياناً، إيجاد مقابل للمصطلح الأجنبي فيصبح تعريبه ضرورة وليس ترفاً، ولكننا نتفق بشرط أن يتم ذلك في إطار القواعد المسطرة سلفاً، إذ إن علماء اللغة عرّفوا التعريب بأنه" استعمال العرب ألفاظاً أعجمية على طريقتهم في اللفظ والنطق فيحافظون على الأوزان العربية والإيقاع العربي بما يعطيها الطابع العربي" [4] ونحن نلاحظ أن كثيراً من المصطلحات بقيت على أصلها الأجنبي و لم يتغير فيها شيء، فما الذي يمكن أن يفهمه القارئ من: اكريليك، أو بيسون، باتيك، يورق، كاليم، كويليتر...، وغيرها من المصطلحات الأجنبية الكثيرة المكتوبة بحروف عربية على غير أوزان العرب، صحيح أنه، أحياناً ، كانت تصاغ على أوزان العربية بل وتخضع لقاعدة الاشتقاق فيصنع منها الفعل بستل، والاسم بستيل، والصفة بستيلي، ولكن ذلك لم يكن ليزيد الأمر إلا غموضاً وتعقيداً.

إن مكتب تنسيق التعريب سار على النهج الذي سارت عليه بعض المجامع العربية ومنها مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي أجاز استعمال بعض الألفاظ الأجنبية، وإن شئنا الدقة" الألفاظ الفنية والعلمية التي يعجز عن إيجاد مقابل لها لا الأدبية والألفاظ ذات المعاني العادية التي يتشدق بها مستعجمة زماننا من أبناء العرب "[5] .لكننا نلاحظ أن هذه المصطلحات المقترضة وردت بكثرة في المعجم، وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل، أليس بإمكان المتخصصين توليد مصطلحات عربية؟ ! إننا لا نومن بأن التعريب خطر على العربية لأننا نعرف أنه ظاهرة مشتركة بين جميع اللغات، وهو لا يشكل" انتقاصاً من اللغة، ما دامت هذه اللغة تواضعاً أصلاً؛ فالمصطلحات الفلسفية الروسية هي في أغلبها مصطلحات إما لاتينية ، أو يونانية، أو عربية ثم صارت جزءاً لا يتجزأ من اللغة الروسية" [6] ولكننا ضد أن يصير هو الغالب في المعجم لأننا نرى في ذلك تهديداً للغتنا العربية.

إن اللغة العربية، على عكس اللغات، تتوالد وتتناسل من داخل ذاتها، أي من غير حاجة إلى الالتجاء إلى طريقة التركيب، وهو ما جعل اللسانيين يعتبروها لغة انفجارية، وقد تيسر لها ذلك بفضل آلية الاشتقاق. إلا أن الملاحظة المستخلصة، من خلال النظر في المعجم، هي ترجيح كفة التركيب بمختلف أنواعه (التركيب المزجي، التركيب الإضافي، التركيب المزجي المختلط) وهو ما أسقط، في كثير من الأحيان، واضعي المعجم في شرك الترجمة الحرفية التي تقف عند حدود المعنى اللغوي للمصطلح، وتتجاهل جذره ونسقه المفهومي. لاحظنا الإفراط في طول بعض المصطلحات المركبة إذ كانت تتعدى حدود الثلاث كلمات، ورغم علمنا بكون المصطلح قد يكون كلمة أو جملة، فإننا نميل إلى أن يكون مصاغاً في كلمة ليسهل إدراكه واستيعابه. لاحظنا ، أيضاً، العزوف عن المصطلحات المنحوتة بحيث لم ترد إلا نادراً، وخيراً فعل واضعو المعجم لأننا نتفق مع المسدي في كون النحت يؤدي إلى"شذوذ في الأوزان أو عجمة في تركيب الأصوات وتوزيع المقاطع" [7]. من الأشياء التي وقفنا عندها ، أيضاً، ورود العديد من المصطلحات في صيغة الفعل، علما أن العادة والقاعدة معاً يتفقان على أن المصطلح مصدر وليس فعلاً، ولا شك في أن وروده كذلك في المعجم ما هو إلا نتيجة حتمية للترجمة الحرفية.

لم يكتف واضعو المعجم بالترجمة والتعريب والاشتقاق وغيرها من الطرق في وضع المصطلح، بل استعانوا بالتراث فأمدهم بمقابلات كثيرة لمصطلحات غربية عديدة، وهذا شيء إيجابي يدل على غنى اللغة

العربية وثرائها، وهو عمل أملنا أن يقتدي به كل مشتغل في المصطلح رغم أننا لاحظنا أنه لا يخلو من مزالق، منها مثلاً الغرابة، علماً أن العلماء العرب- قديما وحديثا- وعلى رأسهم الإمام عبد القاهر الجرجاني، استحسنوا اللفظ الحلو الرشيق، والحسن الأنيق، والعذب السائغ، والخلوب الرائع. فاللفظة عندهم لا تكون محبوبة إلا إذا كانت مما "يتعارفه الناس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم ولا يكون وحشياً غريباً أو عامياً سخيفاً" [8]، وفي المعجم نجد كثيراً من المصطلحات الغريبة التي تحتاج من القارئ جهداً مضاعفاً ، يتمثل في الرجوع أولاً إلى المعاجم لاستشارتها، وثانياً إلى المعاجم المتخصصة لاستطلاعها حول المفاهيم الاصطلاحية.

إن المصطلح لفظ مشحون بمعنى علمي معين، وهو يرتبط بنظرية محددة ويتأطر داخل حدود معلومة ومرسومة بحيث لا يقبل الانحراف أو الزيغان عن مفهومه المسطر، وفي ذلك تكمن خطورة صياغته وبنائه إذ تتطلب سعة العلم والمعرفة، وتنوعها، وتعددها، وقد انتبه إلى هذه المسألة واضعو المعجم، فحرصوا على أن تدل المصطلحات على مفاهيمها دلالة تامة وواضحة، فنجحوا في ذلك أيما نجاح، ومع ذلك فإننا نختلف معهم في دلالات بعض المصطلحات والمفاهيم نذكر منها:

1- فنون الكرافيك Graphic arts, arts graphiques

ورد هذا المصطلح في المعجم معرباً تعريباً لفظياً بمعنى أنه بقي على أصله لم يتغير فيه شيء مع أنه كان بالإمكان استعمال مصطلح (طباعة) فهو واضح الدلالة، ويؤدي نفس المعنى. إن المعنى اللغوي لطباعة يدل على الفعل والحركة والانتشار، أما المعنى الاصطلاحي فيدل على أشكال هذه الحركة والتنوع من خلال تعدد تقنيات الطبع التي أحصاها برنار دوبلي [9] في 214 مصطلحاً تقنياً، تشمل المواد والعمليات والإخراج.

2- دعائي Advertiser , Publiciste

فن دعائي Advertising (art of) , art publicitaire.

نتساءل لماذا وضع مصطلح (دعائي) مقابلا لـ : Advertiser.

علماً أن مصطلح الإعلان أو الدعاية أصبحا أقل حضوراً في الحياة اليومية والمهنية بالنسبة للمتخصصين مقارنة مع مصطلح إشهاري، كما أن مصطلح (إعلاني) الذي ورد في المعجم يرتبط بالمجال الإخباري وقد اشتق منه اسم الفاعل المعلن [10].والذي أصبح شائعاً في الحقل المعجمي للإشهار أو الذي يعني الشخص المختص الذي يتوسط لجهة ما تريد إشهار منتوجها الجديد إلى وكالة إشهارية محترفة، فهو إذن خير موجه.

3- علم النقوش Epigraphy,épigraphie

فيه إبهام وغموض ولا يدل على المعنى دلالة تامة، ونرى أن مصطلح (علم كتابة النقوش) أقرب إلى الصواب، لأنه يتناول بالدرس كتابة معينة كالكتابة [11] التي توقع على واجهات البنايات والتي تحدد الاتجاه وتوجد أيضاً على شكل مقدمات لبعض الكتب وهي تختلف عن الكتابة النقشية المحفورة (الكتابة الهيروغليفية، الكتابة المسمارية) .

4- رسوم مسلسلة cartooning, bande dessinée [12].

نقترح بدلها: شريط مرسوم، ج. أشرطة مرسومة، لأن الشريط عبارة عن حلقات متتالية (شريط تلفزيوني، أو شريط سينمائي).

5- مُصمِّم Designer, Dessinateur

إن لمصطلح "مصمم" دلالة عامة، ويمكن أن يستعمل استعمالات متعددة، علماً أننا نستطيع أن نميز بين مصمم أزياء (Modeliste) ومصمم ديكور (Decorateur) ومبتكر أزياء (Styliste).

ومصطلح "مصمم اللافتات" يتعارض مع نظيره بالفرنسية (Peintre designer)، لأن إنجاز اللافتات يتم عادة بالخط، لذلك سمي المشتغل فيه بخطاط اللافتات. كما أن المصطلح الفرنسي يشوبه غموض لتعارض مصطلح (peintre) بالفرنسية مع (designer) الإنجليزية المشتقة من (Design). ورغم أن المعجم الفرنسي احتضنها مبكراً فهي لا تشكل معنى مشتركاً مع الفنون التطبيقية(Les arts appliqués)[13] وإن اقتربت منها نسبياً لأن مصطلح (designer) الإنجليزي الأصل يقصد به المتخصص والمبتكر بالدرجة الأولى، رسام-مصمم ديكور- مصمم عربات؛ أي صاحب ابتكار وأسلوب خاص في العمل. فالمصطلح يتجه أكثر إلى مزاوجة الشكل والوظيفة بالجانب الجمالي.

6- الظل الممدود cast shadow, ombre porté.

إن مصطلح الظل المسقط في نظرنا، هو المقابل المناسب للمصطلحين الفرنسي والإنجليزي، لأن وضعية مصدر الضوء سواء كان اصطناعياً أو طبيعياً (شمس) أثناء سقوطه على الشيء يتمدد بفضل حركته. ومصطلح الظل الممدود يعني أنه بلغ مسافة معينة، لكن الأمر يختلف تماماً إذا كانت الإنارة عمودية بفضل إنارة مصباح أو أشعة الشمس، والنتيجة اختفاء الامتداد وانحصار الظل. أما الظل الخاص L'ombre propre [15]، فهو الذي يحدد معالم الأشياء :إنسان، حيوان، نبات، جماد، ويعطيها حقيقتها مشخصة. والشيء نفسه يقال عن الظل المحمول (L'ombre autoporté) فهو شخصي وينتج بسبب انعكاس الضوء عليه.

7-صورة ظلية، خيال صورة في مقابل (la silhouette) (silhouette)، المصطلحان معا يثيران كثيراً من الالتباس في ذهن المتلقي، لأن ظاهرة الشبح تحصل لكافة الموجودات أثناء تسليط الضوء عليها من خلف أو أثناء غروب الشمس فتحصل للمتلقي رؤية. وهي عبارة عن شكل له مساحة سوداء تختلف درجتها حسب قوة أو ضعف مصدر الضوء، لذلك نقترح مصطلح (الشبح) مقابلاً للمصطلحين الفرنسي والإنجليزي عوض المصطلحين السابقين.

8- فارق لوني: (Nuance) (Hue)

نفضل مصطلح (درجة لون) لأن فعل دَرَّجَ اللون تفيد أنه أظهر تغييراً طفيفاً في اللون من خلال إضافة لون فاتح أو داكن.

9- طباعة رباعية الألوان (Impression à quatre couleurs) تعتمد على الألوان الأساسية.

- طباعة ثلاثية الألوان Impression à trois couleurs (الأحمر، الأزرق، الأصفر) بالإضافة إلى الأسود تعتمد على الألوان الأساسية فقط.

- الصحيح، في نظرنا، طباعة رباعية يقابلها بالفرنسية:(quadrichromie) وطباعة ثلاثية : (trichromie).

- مصطلح الفن التشكيلي في المجال التعليمي الكائن والممكن:

أدرجت مادة الفنون التشكيلية بالمدارس والمعاهد المغربية إيماناً من الساهرين على ميدان التعليم بالمغرب بأهمية التربية الجمالية باعتبارها مكوناً من المكونات الأساسية التي تساهم في بناء الشخصية الإنسانية، وفي قيام

نهضة حضارية تستثمر أهداف التربية الشكلية في تنمية الروابط بين الفنون الجمالية والفنون النفعية، وفي ازدهار مجالات إبداعية تحرك العجلة الاقتصادية وتنعش سوق الشغل.

وقد يبدو لغير العارف أن التشكيل لا يعاني من حواجز في الممارسة، وفي الحق يكفي أن نمعن فيه النظر لتطفو الكثير من المشكلات التي تعرقل سير العملية التعليمية والتربوية، نذكر منها مثلاً فقر منظومتنا الاصطلاحية، وعجز مجالنا التعليمي عن تسمية الأدوات والتقنيات والخطوات المنهجية، مما ينتج عنه صعوبة في البحث عن معادلات لغوية، لأكثر المصطلحات حداثة، وذلك بفعل انفجار المدارس والمذاهب وانعكاسها على السوق الفنية، ورغم ما شهدته مرحلة الثمانينيات من دعوات التشبث بالهوية ورفض تبعية النموذج الغربي، إلا أنها اصطدمت مع واقع القرارات الرئيسة التي لا زالت بيد مبدعين ومسؤولين من أنصار التيار الغربي، وقد برهنت الإصلاحات التي شملت العديد من المواد عجزها عن الاضطلاع بمهمة تغيير التشكيل واختراق الحواجز المنصوبة بين اللغات والثقافات، لذلك وجب تغيير منهج هذه المؤسسات ووضعها على مشرحة النقد والتحليل لتعرية آليات اللامعقول التي تشتغل بالمنطق الآخر، وتفكيك أبنية الفكر الوهمية. إن صياغة المصطلح التشكيلي العربي ينبغي أن تتم عبر نماذج التقييم والتصنيف ومعايير العمل والتنظيم بغية مسايرة روح ثقافته المتأصلة بتطورات العصر ودلالاته الفكرية والحضارية.

إن انشطار ذات المعلم والمتعلم مرده إلى غياب استراتيجية موحدة وانعدام مرجعية أصيلة تعفي من هاجس البحث عن مسمى لآليات تشتغل بها وعليها على الدوام، لإعادة العافية لمادة الفنون التشكيلية في مدارسنا ولنظامها المصطلحي، خاصة.

إننا ندعو إلى وضع برنامج محدد يتأسس على الأهداف الآتية:

- تزويد القارئ بالثقافات الفنية التاريخية التي تُعرّفه على التراث الفني المحلي وموقعه بالنسبة للحضارات التي تفاعلت معه في الماضي وتتواصل معه حاضراً.

- تذوق الأعمال الفنية لقطر عربي مرتبط بتاريخه المحلي والإقليمي وعلاقته بالتراث الإسلامي وذلك في مجالات العمارة، والنحت، والتصوير، والنسيج، والخزف، والحلي والصناعات الخشبية والمعدنية، والتطلع -أيضاً- إلى إنتاجات الغرب التاريخية المعاصرة للفترات التاريخية الإسلامية.

- تذوق الفنون المعاصرة وتمثل علاقتها بالتطور الحضاري والإنساني.

- التعرف على نماذج من تقنيات وأساليب فنانين وحرفيين من العرب والمسلمين المعاصرين من الأقطار المختلفة في مجالات إبداعية متنوعة.

- التعرف على مختلف الفنون المعاصرة الغربية من خلال بعض الأسماء المعروفة التي ساهمت في تأسيس المدارس والمذاهب والاتجاهات الفنية الكبرى.

- إعداد جيل من المنتجين والمستهلكين قصد المشاركة في التنمية الاقتصادية والفنية.

- الاستفادة من الطرق الخاصة للتنمية الجمالية والإفادة منها في الحياة اليومية.

- لقد فعل مكتب تنسيق التعريب خيراً، حين أصدر هذا المعجم إذ أمد الفنان والأستاذ بزاد سيغنيه عن السؤال، أملنا أن يقرر في المدارس والجامعات والمعاهد العربية ويتخذ مرجعاً أساساً ورئيساً وأن يكن خطوة أولى نحو التوحيد.

المراجـــــع

1- المعجم الموحد لمصطلحات الفنون التشكيلية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، سلسلة المعاجم الموحدة رقم 24، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1999. (المقدمة).

2- نفسه.

3- نفسه.

4- محي الدين صابر، التعريب والمصطلح، اللسان العربي، ع 28 ص 9 و10.

5- محمود فهمي حجازي "الأسس اللغوية لعلم المصطلح" ، مكتبة غريب القاهرة (ب.ت)، ص: 148.

6- محمد رشاد الحمزاوي، أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الغرب الإسلامي، ص 164.

7- عبد السلام المسدي، "المصطلح النقدي"، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، 1994، تونس، ط1، ص:35.

8- عبد القاهر الجرجاني، "أسرار البلاغة" ، تحقيق هـ ريتر، دار المسيرة، بيروت ص: 4.

9- BERNARD DOHIEDKI – Communication par écrit – Les éditions – ouvrières Paris, P. 166.178.

10- Cocula – C. peryroutet- cemantique de l'image – Petit Robert (design)1995 (PARIS), édition de la grave 1986 Paris.

11- Petit Robert (epigraphie) 1995 (Paris).

12- Cadet, R. Charles J.L. Calus
la communication par image – LA-B-D
Le récit dessiné (p- 54 éditions Nathan) Paris 1990.

13- Petit Robert- cemantique de l'image P : 201.

14- Petit Robert la communication par image.